

منهج ابن باديس التفسيري في مجالس التذكير: مقاربة تحليلية

Ibn Badis' Method of Qur'anic Exegesis in Majalis al-Tadhkir: An Analytical Approach

بن دادش محمد*

جامعة مصطفى اسطنبولي، مخبر اللسانيات العربية وتحليل النصوص - معسكر (الجزائر)

mohammed.bendadache@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/11/18

تاريخ الارسال: 2025/09/22

ملخص:

يعالج هذا البحث منهج الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسير القرآن الكريم، من خلال كتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ويهدف إلى إبراز معالم منهجه التفسيري وأبعاده الإصلاحية والتربوية واللغوية في سياق الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي. اعتمد ابن باديس منهجاً يجمع بين التفسير الموضوعي والجزئي، رابطاً النص القرآني بقضايا الأمة، مؤكّداً العقيدة الصحيحة ومحذراً من البدع، مع توظيف أسلوب بلاغي يخدم المقاصد التربوية والاجتماعية. وانطلقت الدراسة من إشكالية تتعلق بمنهجه ومقاصده في سياقه الدعوي الإصلاحي، معتمدة المنهج الوصفي التحليلي المدعوم بالاستقراء. وخلصت إلى أن تفسير ابن باديس لم يكن تقليدياً، بل مشروعاً إصلاحياً ونهضوياً يهدف إلى بناء الوعي وترسيخ الهوية الإسلامية الجزائرية في مواجهة الاستعمار.

الكلمات المفتاحية: التفسير؛ المنهج؛ الأسلوب؛ الخصائص؛ عبد الحميد بن باديس.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This study analyzes the exegetical methodology of Sheikh ‘Abd al-Ḥamid Ibn Bādīs through his Qur’anic lessons published in al-Baṣā’ir and compiled in *Majālis al-Tadhkīr min Kalām al-Ḥakīm al-Khabīr. It aims to highlight the main features of his interpretation and its reformist, educational, and linguistic dimensions within the Algerian context under French colonial rule. Ibn Bādīs adopted a method combining thematic and analytical exegesis, linking the Qur’anic text to the issues of the Muslim community, affirming sound creed, warning against innovations, and employing a clear rhetorical style serving pedagogical and social purposes. The study raises the question of the distinctive features and aims of his tafsīr within his reformist mission, using a descriptive-analytical approach supported by induction. It concludes that Ibn Bādīs’s tafsīr was not traditional commentary, but a reformist and revivalist project aimed at awakening consciousness and consolidating Algerian Islamic identity against colonial domination.

Keywords: Tafsir; methodology; style; features; Abd al-Ḥamid Ibn Bādīs.

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: يُعدّ التفسير من أعظم العلوم الشرعية التي تخدم القرآن الكريم وتكشف عن معانيه ومقاصده، وقد تعددت مناهج المفسرين وتنوعت اتجاهاتهم عبر العصور، كلٌّ بحسب عصره وظروفه وغاياته. ومن بين أعلام العصر الحديث الذين خدموا كتاب الله تعالى بتفسير عميق وهادف، برز الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889م - 1940م)، رائد النهضة الإسلامية والإصلاح التربوي والديني في الجزائر. جاء تفسير ابن باديس في سياق استثنائي، تميّز بالهيمنة الاستعمارية على الجزائر ومحاولة طمس الهوية الإسلامية والعربية لشعبها، فجعل رحمه الله من التفسير أداة للتنوير والإصلاح، وسبيلاً لمقاومة الجهل والانحراف، وبناء شخصية مسلمة مستقلة في فكرها وسلوكها. وقد جمع في تفسيره بين وضوح العبارة، وعمق الفكرة، واستحضار الواقع، وربط النص القرآني بحياة الناس

وقضاياهم. وقد قدّم دروس التفسير في حلقاته التعليمية، ونشرها لاحقاً في مجلة البصائر، قبل أن تُجمع في كتابه المشهور "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، الذي يشكل اليوم مصدراً مهماً لفهم فكر ابن باديس ومنهجه في التعامل مع القرآن الكريم. من هذا المنطلق، يهدف البحث إلى دراسة منهج ابن باديس التفسيري، واستجلاء أبرز خصائصه وأبعاده الإصلاحية، من خلال تحليل نماذج مختارة من تفسيره، وبيان مدى تميّز طرحه مقارنة بالمناهج التقليدية في التفسير مستنداً إلى المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي. وعليه فالدارسة تنطلق عن إشكالية مفادها: ما المنهج الذي اعتمده ابن باديس في تفسيره؟ وما أبرز الخصائص والمقاصد التي ميزت تفسيره في سياقه الدعوي؟ تتفرع عنها جملة من التساؤلات يمكن صياغتها كالآتي:

- ما ملامح شخصية ابن باديس، وما السياق الديني والاجتماعي الذي أفرز مشروعه التفسيري؟

- ما طبيعة المنهج التفسيري الذي سلكه وما الخصائص البلاغية والأسلوبية التي تميز بها؟
- كيف ربط ابن باديس بين النص القرآني وواقع المجتمع الجزائري آنذاك وكيف وظّف التفسير لخدمة مشروعه الإصلاحي والتربوي.

2. لمحة عن حياة الشيخ ابن باديس

هو الإمام العلامة عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس (1889م-1940م) من أبرز أعلام الإصلاح الفكري والديني في الجزائر خلال القرن العشرين. ينتمي إلى أسرة عريقة تعود بنسبها إلى المعز بن باديس الصنهاجي، مؤسس الدولة الصنهاجية التي حكمت القيروان بعد الأغالبة والفاطميين. وُلد بمدينة قسنطينة، ونشأ في بيئة علمية محافظة، حيث تلقى مبادئ العلوم على يد والده وبعض علماء المدينة، ثم التحق بجامع الزيتونة في تونس، حيث نال تعليماً رصيناً في علوم الشريعة واللغة العربية، وتخرج سنة (1908م). بعد عودته إلى الجزائر، انخرط في الحركة الوطنية، وجعل من العلم والدعوة والتربية منطلقات أساسية في مشروعه الإصلاحي. سافر إلى المشرق، وزار الحجاز ومصر، حيث تعرّف على رموز النهضة والإصلاح، ما عزّز قناعاته بأهمية مقاومة الجهل والاستعمار من خلال بعث الوعي الديني واللغوي في المجتمع الجزائري. اشتغل بالتعليم الديني في الجامع الأخضر، وكرس جهده لنشر التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، إلى جانب العمل الإعلامي من خلال الصحافة.

أسهم في تأسيس العديد من الصحف مثل النجاح، المنتقد، الشهاب، السنة المحمدية، الصراط والشريعة، واتخذ منها منابر للدعوة إلى الإصلاح ومحاربة الاستعمار الثقافي والسياسي. وكان يؤكد في كتاباته وخطبه على أولوية الدفاع عن الوطن، وتحرير القضاء الإسلامي من هيمنة القضاء الفرنسي، وتثبيت الهوية العربية الإسلامية في وجه سياسة التغريب. وفي سنة (1931م)، أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانتُخب رئيساً لها، فكانت واجهة للنضال الفكري والتربوي، إذ نشّطت التعليم الحر، وأسست المدارس، وجابت مختلف أنحاء الوطن. واصل ابن باديس دروس التفسير لعشر سنوات في الجامع الأخضر، حيث اختتم تفسيره سنة (1938م) بحفل كبير حضرته وفود من جميع أنحاء الجزائر. وقد تخرّج على يديه نخبة من العلماء والأدباء والمصلحين، الذين حملوا مشعل النهضة الجزائرية الحديثة. توفي رحمه الله في 16 أبريل 1940م بقسنطينة، وترك أثراً بالغاً في الوعي الديني والوطني للجزائريين، ما جعله أحد الرموز المؤسسة للهوية الجزائرية الحديثة¹.

¹ انظر: مجاهد، زكي محمد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م، 3/1039-1040.

3. السياق الديني والاجتماعي:

شهدت الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أوضاعاً دينية وسياسية متأزمة بفعل الاحتلال الفرنسي الذي بدأ سنة (1830م)، والذي سعى إلى طمس الهوية الإسلامية والعربية للشعب الجزائري عبر نشر الجهل، ومحاربة التعليم العربي، وتفكيك المؤسسات الدينية، كالقضاء الشرعي والزوايا، وربط التعليم بالمصالح الاستعمارية. وقد أدى ذلك إلى تدهور مستوى التدين، وانتشار الخرافات والبدع، وهيمنة الطرق الصوفية المنحرفة، ما أضعف الوعي الديني والاجتماعي لدى عامة الناس هذه الحالة السيئة أقلقّت ضمير العلماء المصلحين في الجزائر وهذا ما عبّر عنه الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة (ت 1917م) في قوله:

"فمن لكتاب الله يكشف سرّه*** ويشرحه وفق الفنون الحواضر"¹

في هذا السياق، برز الإمام عبد الحميد بن باديس باعتباره رائداً لمشروع إصلاح متكامل، هدف إلى بعث الوعي الإسلامي، وتجديد الفهم الديني، وبناء الإنسان الجزائري على أسس العقيدة الصحيحة، واللغة العربية، والتربية الوطنية. واعتبر ابن باديس أن استنهاض الأمة يبدأ من القرآن الكريم، فجعله منطلقاً أساساً لمشروعه، واتخذ من تفسير القرآن أداة للتوعية والإصلاح، حيث ربط بين النص القرآني وواقع المجتمع، وركّز في دروسه على التوحيد، ومحاربة الشرك، وإصلاح الأخلاق، ونقد الواقع الاستعماري.²

لم يكن التفسير عند ابن باديس مجرد نشاط علمي تقليدي، بل كان جزءاً من استراتيجية شاملة لمقاومة الاستعمار ثقافياً وفكرياً، وإعادة تشكيل الهوية الجزائرية من خلال القرآن. وقد لعبت دروسه التفسيرية في الجامع الأخضر، إلى جانب نشاطه في التعليم والصحافة، دوراً مركزياً في تشكيل جيل من العلماء والمفكرين والمربين الذين أسهموا في بناء الوعي الوطني وهيئة الأرضية للنضال التحرري لاحقاً. بدأ الإمام عبد الحميد بن باديس تفسيره للقرآن الكريم بأسلوب شفهي في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة سنة (1913م)،

¹ - محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ط2، بيروت، دار الفضيلة، 2006 م، 350/3.

² - انظر: سومية معياد، الشيخ عبد الحميد بن باديس وفكره الإصلاحي، مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، وجدة المغرب، مج. 1، ع. 7، أكتوبر 2024م، ص933

وكان آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره. وقد استمر في إلقاء دروسه التفسيرية على العامة لسنوات طويلة، حيث اعتمد منهجاً سلفياً يربط الأمة بفهم سليم للقرآن الكريم، مستوحى من مناهج السلف الصالح. وفي سنة (1925م)، أصدر مجلة الشهاب، التي كانت في البداية أسبوعية ثم تحولت لاحقاً إلى مجلة شهرية اعتباراً من سنة (1929م)، وقد وجد فيها منبراً مناسباً لبث دروسه التفسيرية تحريراً، فنشر مقالات تفسيرية لآيات مختارة، جمع فيها بين عمق الفهم وبساطة الأسلوب، بهدف إصلاح فكر المجتمع، وتقويم عقيدته، وتهذيب سلوكه. اتبع ابن باديس في مشروعه التفسيري طريقتين متكاملتين:

- الأولى شفهية، ألقاها على جمهور الناس في حلقات تعليمية منتظمة.
- الثانية تحريرية، ظهرت في افتتاحياته لمجلة الشهاب تحت عنوان: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"¹.

وقد أتم تفسيره الشفوي في سنة (1938م)²، حيث أقيم بهذه المناسبة حفل كبير نظّمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، شارك فيه عدد كبير من علماء البلاد ومحبيه. وفي وصف هذه اللحظة التاريخية قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "أتم الله نعمته على القطر الجزائري بختم الأستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير الكتاب الكريم درساً على الطريقة السلفية... وكان إكماله في خمس وعشرين سنة متوالات مفخرة مدخرة لهذا القطر"³.

أما تفسيره التحريري، فلم يكن تفسيراً كاملاً للقرآن، بل تضمن دروساً في تفسير آيات مختارة من عدد من السور، منها: المائدة، يوسف، النحل، الإسراء، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، النمل، الأحزاب، يس، الذاريات، والمعوذتان، بالإضافة إلى تفسير موضوعي بعنوان "العرب في القرآن"، وقد نُشرت هذه التفسيرات في مجالس الشهاب، ثم أعاد جمعها وتعليقها الأستاذان: محمد الصالح رمضان (الجزائري)، وتوفيق محمد شاهين (المصري) في مجلد واحد يضم حوالي 400 صفحة⁴.

¹ انظر: باي زكوب عبد العالي، تفسير عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، مجلة الإسلام في آسيا، المجلة الإسلامية العالمية-ماليزيا، مج8، ع. 2، ديسمبر 2011 م، ص113-114.

² -و من محاسن الصدف أن تعادل مدة تفسير ابن باديس للقرآن الكريم فترة نزول الوحي على النبي.

³ -طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997م، 318/1.

⁴ ابن باديس، عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان تحقيق أحمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م.

ويُعزى عدم تدوين ابن باديس لتفسير شامل إلى قناعته بأن التفاسير السابقة قد كفت الأمة مؤنة ذلك، وكان يرى أن الانشغال بالتفسير الكامل قد يُبعده عن واجباته الإصلاحية الميدانية. وقد عبّر الإبراهيمي عن أسفه الشديد لذلك بقوله: "لم يكتب الأخ الصديق آماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئاً منها، وضاع على الأمة كنز علم لا يقدر بمال... لكن الله أبقى إلا أن يذيع فضله وعلمه"¹.

وقد مثلت هذه المجالس التفسيرية نموذجاً فريداً في الفهم الواعي للنص القرآني، والتوجيه الإصلاحي المباشر، فجاءت تعبيراً صادقاً عن منهج ابن باديس التربوي والدعوي، وعن رؤيته للتفسير كأداة لتجديد الدين وبناء الأمة.

4.المعالم المنهجية والأسلوبية في تفسير عبد الحميد بن باديس للقرآن الكريم

لقد حرص الإمام عبد الحميد بن باديس على تبليغ رسالة القرآن الكريم بلغة معاصرة واضحة، تستوعب مختلف فئات المجتمع الجزائري، وتخطب حاجاتهم الدينية والثقافية في ظل ظروف الاستعمار والتجهيل الممنهج. وقد تمثلت غايته الأساسية من تفسير كتاب الله في تفهيم جمهور المسلمين لمعاني القرآن، بهدف هدايتهم بسُننه، وتأديهم بأخلاقه، وتمكينهم من فقه أسرارهِ؛ بما يساهم في تكوين جيل قرآني واعٍ قادر على النهوض بالجزائر علمياً وثقافياً واجتماعياً. وقد صرح ابن باديس صراحة بهذا التوجه في قوله: "فإننا - والحمد لله - نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودهم"². يتضح من هذا التصور أن ابن باديس كان يخطط بعناية لإعداد نخبة قرآنية تتحمل مسؤولية النهضة والإصلاح، وتتصدى لمظاهر الجهل والبدع والانحراف العقدي، كما تسعى لتحرير الوطن من الهيمنة الاستعمارية ثقافياً وروحياً. وانطلاقاً من هذه الرؤية، رسم ابن باديس معالم منهجه في التفسير، الذي يمكن إجماله في مجموعة من المبادئ، من أبرزها:

¹ المرجع نفسه، 362/1

² ابن باديس، عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 142/2

1.4 اعتماد تفسير القرآن بالقرآن

اعتبر ابن باديس أن أول وأقوى وسائل بيان المعنى القرآني تكمن في الرجوع إلى آيات أخرى توضح السياق وتزيل الإبهام، وهو ما يُعرف بـ"تفسير القرآن بالقرآن". وقد صرح بأهمية هذا المنهج عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: 76]، إذ طرح سؤالاً تفسيرياً حول من سيتلقى عباد الرحمن بالتحية؟ وأجاب قائلاً: "وقد بين من يتلقاهم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73]، فالملائكة هم الذين يتلقونهم بالسلام والدعاء لهم، وهو مما يدخل في التحية"¹. ثم يعلق قائلاً: "وما أكثر ما تجد في القرآن بياناً للقرآن، فاجعله من بالك تهتد إن شاء الله إليه"². وضمن هذا السياق المنهجي، قارن ابن باديس بين قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: 18]، وبين نظيرها في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 15-16]، ليظهر انسجام المعاني وتكاملها في الدلالة على المصير الذي ينتظر من يؤثر الدنيا على الآخرة. إن هذا المنهج يعكس عمق نظرة ابن باديس لكتاب الله، وإيمانه بأن تفسير القرآن ينبغي أن يُستمد أولاً من داخله، قبل الرجوع إلى المرويات والأقوال، مما يعزز التماسك النصي ويُربي المتلقي على الاستنباط المباشر من النص القرآني ذاته.

2.4 الاستفادة من علم القراءات في التفسير

اعتمد ابن باديس في منهجه التفسيري على علم القراءات القرآنية الصحيحة، باعتباره من المصادر المعتمدة التي تسهم في توسيع الدلالة وتعدد المعاني داخل الآية الواحدة. ويظهر هذا التوجه وعيه العميق بأن اختلاف وجوه القراءات ليس مجرد تنوع لفظي، بل هو باب لثراء المعنى وتكامله، إذ قد تنتج عن كل قراءة دلالة جديدة تضيف بُعداً

¹ - المرجع السابق، 501/1.

² - ابن باديس، عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 501/1.

تفسيرياً مهماً للنص القرآني. ومن النماذج التي أبرز فيها ابن باديس هذا المعطى، تفسيره لقوله تعالى في آية الوضوء: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6]، حيث جاءت كلمة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بقراءتين:

- بالنصب : عطفاً على ﴿وُجُوهَكُمْ﴾، مما يدل على غسل الأرجل، وهي الحالة الأصلية في الطهارة.
- بالخفض : عطفاً على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، فيُفهم منها مسح الأرجل، وهي الرخصة المقرونة بحالة لبس الخفاف.

وقد علّق ابن باديس على هذا الاختلاف بقوله: بالنصب عطفاً على الوجه فيفيد غسل الأرجل، وتلك هي الحالة الأصلية العامة. وبالخفض عطفاً على الرؤوس فيفيد مسح الأرجل، وتلك هي الرخصة عند لبس الخفين¹.

إن استحضار ابن باديس لهذا التنوع القرآني لم يكن يهدف العرض فقط، بل كان توظيفاً منهجياً مقصوداً يهدف إلى إبراز مرونة الشريعة الإسلامية، والتوازن بين العزائم والرخص، وبيان سعة المعاني القرآنية التي تستوعب مختلف الأحوال والظروف.

3.4 توظيف السنة النبوية في التفسير

اعتمد ابن باديس في تفسيره للقرآن الكريم على السنة النبوية الصحيحة باعتبارها المصدر الثاني للتشريع والمفسر العملي للقرآن، مؤكداً أن التفسير يكتمل ويتقوّى عندما يُعزّد بالأحاديث الصحيحة. وقد عبّر عن هذا المبدأ بقوله: "ما أحسن التفسير عندما تعزده الأحاديث الصحيحة"²، وقال أيضاً: "عندما يختلف عليك الدعاة الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر: من يدعوك بالقرآن إلى القرآن، ومثله ما صح من السنة لأنها تفسيره وبيانه، المتبع للنبي ﷺ في دعوته وجهاده بالقرآن"³. ومن خلال ذلك، كثر استشهاده بالأحاديث النبوية الواردة في صحيح البخاري ومسلم تحديداً، دعماً لمضامين تفسيره.

¹ - انظر: ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 1، ص 484

² - المرجع نفسه، ج 1، ص 426

³ - المرجع نفسه، ج 1، ص 429 الآية 62 من سورة الفرقان، ص 187

ويتجلى هذا بوضوح في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23 - 24]. فقد أورد حديثاً رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ). قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ)¹. وقد أكد ابن باديس على أن السنة لا تعارض القرآن إذا ثبتت صحتها، غير أنه يميز بين ما هو قطعي الدلالة والثبوت، وما هو ظني. ولذلك، يردّ خبر الآحاد إن خالف النصوص القرآنية القطعية، لأن خبر الآحاد يفيد الظن، والظن لا يُعارض اليقين. ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، ويرى أن هذه الآية أصل في نجاة أهل الفترة، ويستثني فقط من ثبت فيهم نص خاص، كعمرو بن لحي، الذي ثبت في شأنه أنه أول من سيب السوائب، وغير ملة إبراهيم عليه السلام، وحلل للعرب وحرّم. ويخلص ابن باديس من هذا الاستدلال إلى نجاة أبوي النبي ﷺ، مستنداً إلى النصوص القطعية الدالة على ذلك. كما يرى أن الحديث الذي رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه، وفيه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: "يا رسول الله، أين أبي؟ قال: في النار"،...، ثم قال له بعد أن ولي: "إن أبي وأباك في النار"²؛ فهو خبر آحاد لا يُقدّم على القواطع، بل هو قابل للتأويل، ويمكن حمل "الأب" فيه على العم مجازاً، دفعاً للتعارض مع الأدلة القطعية³.

4.4. الاعتماد على أسباب النزول

بوصفها أداة منهجية لفهم معاني القرآن الكريم، ورفع الإبهام عن بعض الآيات، وتوضيح ما قد يُشكل منها، ودفع المتشابهات. ومن الأمثلة الدالة على ذلك تفسيره لقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الفرقان: [68]، حيث أورد حديثاً في "صحيح مسلم" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، جاء فيه:

¹ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تصحيف مصطفى ديب البغا، ط5، دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة، 1993م، 2314/5- مسلم

بن الحجاج، صحيح مسلم، تصحيف محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955م، 64/1

² مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 132/1

³ انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 72/2.

"قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حيلة جارك. فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾"¹.
ويعلق ابن باديس على العلاقة بين الآية وسبب نزولها بقوله: "تواردت الآية والحديث في الإثم الأول على شيء واحد، وتوارد أيضاً في الثاني والثالث، غير أن الحديث ذكر أفراداً من العام وردت في الآية، وهي أشدها إثماً، بينما جاءت الآية بلفظ عام يشمل جميع الصور"².

كما تميّز منهجه التفسيري بالتحقيق الدقيق في الروايات المتعلقة بأسباب النزول أو فضائل السور، فلم يكن يتساهل في قبول الأخبار، بل كان يلتزم بما صحّ منها، ويعزوها إلى مصادرها المعتمدة في كتب الحديث، مع إخراجها وتحقيقها. ويتجلى ذلك في موقفه من الروايات الواردة بشأن سبب نزول المعوذتين، حيث رفض الرواية القائلة بأن نزولهما كان بسبب سحر النبي ﷺ، معللاً ذلك بعدم صحتها، حين أشار إلى أن ما يُذكر في نزولهما بسبب قصة النبي الأعصم [المسحور]، فإن ذلك لم يصح سبباً لنزولهما، وإن كانت حادثة السحر نفسها - وصاحبها ليبيد بن الأعصم - ثابتة في الصحيح. وقد تساهل كثير من المفسرين في إدخال هذا السبب ضمن تفسير المعوذتين، كما أدرجوا في فضائلهما كثيراً مما لا يصح، وما صحَّ يغني عن غيره³.

5.4. عنايته بعلم المناسبات القرآنية وعلاقات السور:

أولى ابن باديس عناية خاصة بعلم المناسبات، إذ اعتمد على دراسة الروابط بين الآيات والسور لاستخلاص دلالات وحكم دقيقة، قد تغيب عن أنظار كثير من المفسرين المتقدمين والمتأخرين. وقد أشار إلى ذلك بقوله: "وربط الآيات بوجوه المناسبات"⁴. وتجدر الإشارة إلى أن ابن باديس كان يرى أن ترتيب سور المصحف هو ترتيب توقيفي، ليس من اجتهاد الصحابة الذين جمعوا القرآن⁵. وفي معرض بيانه لسر ختم المصحف بسورتي

¹ - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ح 142، مج 1، 91.

² - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 72/2.

³ - انظر: المرجع نفسه، 107/2.

⁴ - انظر: المرجع نفسه، 162/1.

⁵ - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 108/2.

المعوذتين، يرى ابن باديس أن لهما خصوصية تتجاوز ما اعتاد المفسرون بيانه من المناسبات بين السور، حيث يقول: "ولهايتين السورتين خصوصية غير المناسبات التي يذكرونها في ارتباط بعض السور ببعض، ويستخرجون منها بالتدبر ما لا يُحصى من الأنواع، وهذه الخصوصية هي ختم القرآن بهما"¹. ثم يضيف مؤكداً: يستطيع دارس القرآن ومتدبره ومتقلبه في أنواره بذهنٍ مشرق وقريحة صافية، أن يستخرج من الحكم في هذا الختم أنواعاً، ويعدد بعد ذلك طائفة من هذه الحكم، ليخلص إلى القول: "إن المناسبة العامة بين جميع القرآن مرتباً ترتيبه التوقيفي، وبين هاتين السورتين، قائمة في اتحاد موضعهما"². أما المناسبة الخاصة بين سورتي الإخلاص والمعوذتين، فيربطها ابن باديس بوظيفة كليّ منهما في بناء العقيدة؛ إذ إن سورة الإخلاص تُعرّف الخلق بخالقهم من خلال تقرير التوحيد، والتنزيه، والتمجيد، فإذا آمن المسلم بهذه المعاني وخرج من سورة الإخلاص مشبعاً بها، أدرك أن العالم مليء بالشرور، وأن لا ملجأ له من شرها إلا إلى ذلك "الصمد" الذي "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد". ومن هنا تأتي المعوذتان لتكملان المعنى العقائدي بالتعبير عن هذا الالتجاء والتعوذ، الذي هو جزء لا يتجزأ من كمال التوحيد. ولذلك جمع بين هذه السور الثلاث - الإخلاص والمعوذتين - في التسمية، وفي سنة التعوذ، وفي قراءة الوتر، كما أشار ابن باديس³.

ويمكن أن نختم هذا المبحث بما أكّده الشيخ البشير الإبراهيمي في تقديمه لتفسير ابن باديس، إذ بين أن فهم القرآن الكريم لا يتحقق إلا باجتماع جملة من الشروط، منها⁴: صفاء القريحة، ونور الذهن، التعمق في أسرار البيان العربي، الفقه العميق في روح السنة النبوية المبينة لمقاصد القرآن، الإمام الواسع بتراث علماء القرون الثلاثة المفضلة، التأمل في سنن الله الجارية في الكون، الاطلاع على ما تكشف عنه العلوم التجريبية من هذه السنن وعجائبها. ويرى المتتبع لدروس ابن باديس التفسيرية أنها قد استوفت هذه الشروط، مما جعله في طليعة المفسرين المجددين في العصر الحديث.

¹ - انظر: المرجع نفسه، 108/2

² - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 109/2

³ - انظر: المرجع نفسه، 109/2-110

⁴ - انظر: طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، 250/2.

16.4 اعتماده على ما نقل عن الصحابة من الأحاديث الموقوفة والمرفوعة:

كان ابن باديس يستند في تفسيره إلى ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم من آثار صحيحة، سواء كانت موقوفة أو مرفوعة، مع الاستشهاد بمناقبهم الثابتة، باعتبارها مصدراً يول عليه في تفسير القرآن. ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30]، حيث استشهد بحديث موقوف على الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، جاء فيه: "تكون فتن، فيكثر المال، ويفتح القرآن، حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغير والكبير، والمنافق والمؤمن، فيقرأه الرجل فلا يتبع، فيقول: والله لأقرأنه علانية، فيقرؤه علانية فلا يتبع. فيتخذ مسجداً، ويتدع كلاماً ليس من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله، فيأياكم وإياه، فإنه بدعة وضلالة".¹ وقد علق ابن باديس على هذا الأثر مشيراً- فيما يفهم من كلامه-: أن هذا الحديث وإن كان موقوفاً على معاذ، فهو في حكم المرفوع، لأنه يتحدث عن مغيب من المستقبل، ومثل هذا لا يُعرف بالرأي، وإنما يُعلم عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم. وهو ما كان يعلمه الصحابة إلا بتوقيف نبوي.² ومن هذا المنطلق، يظهر اعتماد ابن باديس على الآثار الصحابية الموثوقة بوصفها منارات هادية في الكشف عن المعاني القرآنية، خاصة ما تعلق منها ببيان السنن الكونية والاجتماعية، وتحذير الناس من الانحراف عن القرآن في واقعهم العملي.

17.4 استمداده من أمهات التفاسير وكتب الحديث والأحكام:

إلى جانب اعتماده على الآثار، استمد ابن باديس تفسيره من أمهات كتب التفسير المعتمدة، وكذلك من كتب الحديث والفقه والأخلاق، التي عدّها من الأدوات المعينة على فهم النص القرآني واستنباط الأحكام والدلالات. وقد بيّن ذلك في دروسه على حد تعبيره: وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة:

¹ أخرجه أبو داود بلفظ: "إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَتُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِي حَتَّى أَتْبَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتَدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأَحْذَرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ". أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، 202/4.

² انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 1/410.

- تفسير ابن جرير الطبري¹، الذي يمتاز بالنقل عن السلف، وبتسلسله في عرض الأقوال، وبلاغته في تفسير معاني الآيات، مع ترجيحه لما يراه أصوب من الأقوال.
- وتفسير الزمخشري²، الذي يُعنى بجمال الأسلوب القرآني، وتطبيق فنون البلاغة عليه، وربطه بكلام العرب وفنون البيان.
- وتفسير أبي حيان الأندلسي³، الذي يتفوق في تحقیقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه الدقيق للقراءات القرآنية.
- وتفسير الفخر الرازي⁴، الذي يقدم بحوثاً موسّعة في العلوم الطبيعية والكونية، ومباحث الكلام، ومقالات الفرق، وأسلوب المناظرة والحجاج⁵.
- وأضاف إلى ذلك قوله: "إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام"⁶.
- ومجمل هذا يدل على أن ابن باديس قد وفق في منهجه التفسيري إلى الجمع بين صحيح المنقول من آثار السلف، وصریح المعقول من أدوات النظر العقلي واللغوي، مما يعكس منهجا متوازنا بارزاً بين الأثر والاجتهاد في تفسيره للقرآن الكريم.

¹ - المسعى: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن".

² - المسعى: "الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل".

³ - المسعى: "البحر المحيط".

⁴ - المسعى: "مفاتيح الغيب".

⁵ - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 1/ 162-163.

⁶ - ومن المصادر التي كان يعتمد عليها، على سبيل المثال لا الحصر: "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، و"لسان العرب" لابن منظور، و"إعلام الموقعين" لابن القيم، و"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، و"القبس في شرح موطأ مالك" لابن العربي،-----"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير، و"ديوان المتنبي"، ومقدمة ابن خلدون، والعواصم من القواصم لابن العربي، وغيرها من المصادر التي تعكس سعة اطلاعه وتنوع روافد تكوينه العلمي.

8.4 موقفه من الإسرائيليات والأخبار الواهية:

تميّز منهج ابن باديس في التفسير بنقد صارم للإسرائيليات والأخبار الضعيفة التي تسربت إلى كثير من كتب التفسير، ولا سيما ما نُقل عن كعب الأخبار ووهب بن منبه، وبعض ما ورد في المستدرک للحاكم، مما بيّن العلماء المحققون بطلانه. وقد كان ابن باديس حريصاً على تنقية الخطاب التفسيري من هذه الروايات، فلا يستشهد بها إلا على سبيل التحذير من بطلانها وبيان زيفها. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، ما ذكره في تفسير سورة النمل، عند حديثه عن قصة سليمان عليه السلام، إذ قال: "زويت في عظم مُلك سليمان روايات كثيرة لا يصح منها شيء، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير، مما نقل من غير تثبیت ولا تمحيص عن كعب أخبار ووهب بن منبه، وقد روى بعضاً من ذلك الحاكم في مستدرکه، وصرّح الذهبي ببطلانه"¹.

ويظهر من هذا الموقف التزام ابن باديس بضوابط النقد الحديثي والتوثيق العلمي، وحرصه على صون التفسير من أن يتأثر بالقصص الواهية أو الروايات المشكوك في صحتها.

9.4 اعتماده على الرأي المحمود بضوابطه الشرعية واللغوية والعقلية:

اعتمد ابن باديس في منهجه التفسيري على الرأي المحمود، باعتباره أداة لفهم المعاني القرآنية العميقة واستنباط الحكم الباطنة، شريطة ألا يتجاوز ثلاث ضوابط منهجية أساسية، وهي كما يلي:

✓ أن تكون المعاني المستنبطة صحيحة في ذاتها.

✓ أن تستند هذه المعاني إلى التركيب القرآني استناداً لغوياً صحيحاً، موافقاً لقواعد العربية.

✓ أن تحظى هذه المعاني بتأييد من أدلة الشرع الكلية أو الجزئية.

وقد قال في ذلك: "وكل ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول"².

¹ - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، 2 / 40

² - انظر: المرجع السابق، 35/2

ويبرز هذا المنهج في تفسيره لقصة سليمان عليه السلام في سورة النمل، عند قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20]، حيث نقل عن الإمام ابن العربي كلامًا نفيسًا للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري، شيخ الصوفية في زمانه أنه قال: "إنما قال مالي لا أرى لأنه اعتبر حال نفسه إذ علم أنه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق، فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر فلأجله سلها ؛ فجعل يتفقد نفسه، فقال : مالي... وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالهم. هذا في الآداب، فكيف بنا ونحن اليوم نقصر في الفرائض؟"¹، وعلّق عليه بقوله: "مثل هذه المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الإمام الجليل، هي من أجلّ علوم القرآن وذخائره"². وقد كان ابن باديس حاسمًا في نقد التفاسير التي لا تلتزم بهذه الضوابط، ولا سيما ما جاء في بعض التفاسير الصوفية، حيث قال: "أما ما لم تتوفر فيه الشروط المذكورة، وخصوصًا الأول والثاني، فهو مما لا يجوز في تفسير كلام الله، وهو كثير في التفاسير المنسوبة لبعض الصوفية، كتفسير ابن عبد الرحمن السلمي من المتقدمين، والتفسير المنسوب لابن عربي من المتأخرين"³. وقد أضاف ابن باديس إلى هذه الشروط الثلاثة شرطًا رابعًا، يتعلّق بالمنهج العقلي واللغوي الذي ينبغي أن يحكم عملية التفسير، حيث قال - في سياق تفسيره لسورة يس - : "ويكون عمله في كتاب الله هو التفهم والتدبر لآياته، والتفطن لتنبهاته، ووجوه دلالاته، واستثارة علومه من منطوقه ومفهومه، على ما دلت عليه لغة العرب في منظومها ومنثورها، وما جاء من التفاسير المأثورة، وما نُقل من مفهوم الأئمة الموثوق بعلمهم وأمانتهم، المشهود لهم بذلك من أمثالهم"⁴. ويتضح من هذا أن ابن باديس دعا إلى توازن منهجي بين أعمال العقل والتقيّد بقواعد الشرع واللغة، دون غلو أو جمود.

¹ - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 35/2

² - انظر: المرجع نفسه، 35/2

³ - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 35/2

⁴ - المرجع نفسه، 56/2

كما كان موقفه واضحاً في التعامل مع آيات الغيب؛ حيث رفض الخوض في تفاصيلها بغير دليل، مؤثراً التوقف والتفويض إلى الله تعالى، من غير أن يعني ذلك تعطيلاً للعقل أو تعاطفاً مع الجمود. يقول في هذا السياق: "فكان من لطف الله بالإنسان أن جعل لعقله حداً يقف عنده، وينتهي إليه، ليسلم من هذا الخطر: خطر الإعجاب بالعقل"¹، ويضيف: "حتى إذا انتهى إلى مشكل استغلق عليه، اعترف بعجزه، ولم يرتكب من الأوهام والفروض البعيدة ما يكسو الحقيقة ظلمة، ويوقع الباحث من بعده في ضلالة أو حيرة. فكثيراً ما كانت الفروض الوهمية الموضوعة موضع اليقينيّات، سبباً في صد العقول عن النظر، وطول أمد الخطأ والجهل"².

ويجدر التنبيه إلى أن ابن باديس لم يهمل المعطيات العلمية الحديثة، بل أفسح لها مجاًلاً في تفسيره، ما دامت منضبطة بالضوابط الشرعية واللغوية؛ ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: 12] حيث يقول: "واتفق علماء الفلك في العصر الحديث، بعد الاكتشافات والبحوث العلمية، أن جرم القمر، كالأرض، كان في أحقاب سحيقة وملايين السنين شديد الحرارة، ثم برد، فكانت له إضاءة في زمن حرارته، ثم زالت حين برد"³. وهو بذلك يمثل نموذجاً متوازناً بين التراث والمعاصرة، يجمع بين فقه النص وفهم الواقع، من غير تفریط في الثوابت ولا إفراط في المعطيات الحديثة.

10.4 استمداده من معاجم اللغة ودواوين العرب لفهم النص القرآني:

كان ابن باديس يُولي أهمية كبيرة للرجوع إلى معاجم اللغة العربية ودواوين العرب، بما فيها من أخبار وأمثال وأشعار، وطرائف لغوية وبلاغية، قصد فهم مقاصد العرب في استعمالهم للألفاظ والتراكيب؛ بما يعين على الكشف عن معاني النص القرآني التي قد يخفى فهمها على غير المتبحر في اللسان العربي. وقد عبّر عن منهجه هذا بقوله:

¹ - المرجع نفسه، 53/2

² - المرجع نفسه، 55/2

³ - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 195/1

"على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البنيانية"¹. ومن التطبيقات العملية لهذا المنهج ما ورد في تفسيره لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، إذ يتناول ابن باديس دلالة لفظ "تَقْفُ"، فيقول: "فالقفو: اتباع عن غير علم، فهو أخص من مطلق الاتباع، ولذلك اختيرت مادته هنا. ولقربه من الجهل، جاء في كلام العرب بمعنى قول الباطل"²، ثم يستشهد ببيت من شعر جرير:

وطال حِذاري خيفةَ البَيْنِ والنَّوى *** وأحدوثه من كاشح متقوِّف³

ليبين أن التقوِّف في اللغة يتضمن دلالة سلبية تتصل بنقل الباطل دون تحقق أو علم. وهذا المثال يُظهر اعتماد ابن باديس على المادة الشعرية والبلاغية في فهم دلالة المفردة القرآنية وتحديد المقصود بها بدقة، مع ربطها بالسياق البلاغي للآية.

11.4 عنايته بدقائق البلاغية ووجوه الإعجاز:

تميّز تفسير ابن باديس بعناية خاصة بدقائق البيان القرآني، من لطائف بلاغية وتقديم وتأخير، وتناسب في التراكيب، إلى جانب اهتمامه بوجوه الإعجاز البياني والتنظيبي. وكان يعتبر هذه العناصر مكتملة لبيان المعنى، ومؤكدة لجلال النص القرآني وروعته. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 6]، أشار إلى سر التقديم والتأخير في الأسلوب القرآني، قائلاً: "ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنه يُقَدِّم أولاً الاسمين المتلازمين في آية لسر من أسرار البلاغة، التي يقتضيها ذلك المقام، ولا يؤخّر ما قُدِّم في موضع آخر، إلا لاعتبار بلاغي آخر"⁴، ثم يستشهد بتقديم السماء على الأرض في بعض المواضع وتأخيرها في أخرى، ومثال ذلك تقديم الانس على الجن في سورة الانعام⁵، ويطبّق القاعدة في تفسير آية سورة الناس، فيوضح أن تقديم الجنة على الناس جاء انسجاماً مع

¹ - المرجع نفسه، 162/1

² - المرجع نفسه، 266-265/1

³ - جرير، ديوان جرير، تح: كرم البستاني، ط1، لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م، ص 295. وفي أصل البيت (غربة) موضع (خيفة)، و(يتقوِّف) موضع (متقوف).

⁴ - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 127/2

⁵ - قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ)، [الأنعام: 112].

طبيعة الوسوسة، كونها - من شياطين الجن - أخفى وأدق، رغم أن وسوسة الإنس أعظم أثراً. ويؤكد ذلك بقوله: " فشیطان الجن یستخدم شیطان الإنس للشر والإفساد، فیربى علیه ویكون شرّاً منه، لأنه بمثابة السلاح الذي یفتك به؛ ورب كلمة واحدة صغيرة یوحیها جنّی للإنسی، فتتولد منها فتن، ویمتد شرّها من جیل إلى جیل"¹.

أما عن وجوه الإعجاز، فقد توقف ابن باديس عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: 32]، ليبين إعجاز الترتيل والتنزيل التدريجي، حيث قال: "من محاسن هذه الشريعة المطهرة أنها نزلت بالتدرج المناسب، وما كان ذلك ليأتي إلا بتفريق الآيات في الإنزال... وهذا الترتيل العجيب والتنضيد الغريب قد بلغ الغاية في الحُسْن والمنفعة، حتى إنه ليصح أن يُعدّ وحده وجهاً من وجوه الإعجاز"². وهذا التوجيه البلاغي والبياني يعكس تفاعله العميق مع النص القرآني، وتقديره لأسلوبه المنظم الذي يخاطب العقل والوجدان في آن واحد.

5. أسلوبه في التفسير

1.5 امتاز أسلوب ابن باديس في التفسير بالسهولة والامتناع، حيث خلا من التعقيد اللفظي والسجع المتكلف، وتجنب فيه الجدل العقيم، والتكلفات الكلامية، والتعدد غير المنضبط في الآراء، مما جعل تفسيره يتصف بوضوح المقصد وسلاسة العبارة³. وقد ارتبط هذا الأسلوب بوظيفته الإصلاحية التي أراد أن يؤديها من خلال التفسير، إذ كان هدفه الأساسي معالجة واقع المسلمين وإصلاح أحوالهم الدينية والاجتماعية. لذلك، كان يراعي في تفسيره مقتضيات العصر، ويخاطب جمهور الناس بما يناسب مداركهم، ويتناول أمراض المجتمع وأدواءه بلغة واضحة وتوجيه مباشر⁴. وإذا واجه شبهات أو اعتراضات من أهل الباطل،

¹ - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 128/2

² - المرجع نفسه، 418/1

³ - انظر: نور الدين تومي، المباحث الحديثية في تفسير ابن باديس، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، 2014م، مج 19، ع 37، ص 16.

⁴ - انظر: زوالي نبيلة، واقعية الخطاب التفسيري وتوجيهها للدلالة - تفسير ابن باديس أنموذجاً -، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة عين تموشنت، الجزائر، 2016م، ع، ص 285-287-288

قابلها بالحكمة والموعظة الحسنة، متجنباً العنف اللفظي أو الفظاظ، موضحاً خطورة تلك الأقوال وسوء مقاصد أصحابها، تحذيراً للناس وتنبيهاً لهم.

2.5 كان منهجه العملي في التفسير يقوم على انتقاء آية أو مجموعة من الآيات، يضع لها عنواناً مناسباً يعكس مضمونها، ثم يشرع في تمهيد يتناول فيه فضائلها، وسياق نزولها، ومناسبتها لما قبلها إن وُجد، قبل أن ينتقل إلى تفسير لغوي مختصر يحدد من خلاله المفاهيم الرئيسة من حيث معناها اللغوي والاصطلاحي. ثم يعرض المعنى الإجمالي للمقطع، مع بيان وجوه الإعراب المحتملة إن وُجدت، وما يترتب عليها من تنوع في المعاني. يلي ذلك تفصيل للموضوعات التي تتناولها الآيات، وذلك من خلال عناوين فرعية تسلط الضوء على مضامين الآيات وربطها بواقع المجتمع ومشكلاته. ويظهر هذا المنهج بجلاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15-16]. فقد استخلص من هذا النص القرآني ستة عشر عنواناً فرعياً، هي:¹ 1. تمهيد - 2. أدب واقتداء - 3. بيانه لهم حجته عليهم - 4. تمثيل - 5. أدب واقتداء - 6. نعمة الإظهار والبيان بالرسول والقرآن - 7. محمد ﷺ والقرآن نور وبيان - 8. استفادة - 9. اقتداء - 10. الهداية نوعان - 11. بماذا تكون الهداية - 12. لمن تكون الهداية - 13. إلى ماذا تكون الهداية - 14. الإخراج من الحيرة إلى الاطمئنان - 15. الإسلام هو السبيل الجامع - 16. الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ضرورة دائمة.

وفي بعض الأحيان، يتبع هذا التمهيد بعناوين فرعية إضافية وفق ما تقتضيه الآيات، مثل: "المعنى"، "الأحكام"، "استنتاج"، "التطبيق أو الفائدة العملية"، "تحذير وإرشاد"، "عبرة وتحذير". وقد يقسم تفسيره إلى مباحث أو مسائل أو فصول، مقتفياً بذلك أثر فخر الدين الرازي في منهجه التفسيري، ويختتم في الغالب تفسيره بدعاء بليغ يناسب مضمون الآيات وسياقها.²

¹ - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 1/13-14

² - انظر: باي زكوب عبد العالي، منهج عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، ص 128-129

6. خصائص تفسير ابن باديس

يُعدّ منهج ابن باديس في التفسير خروجًا واعيًّا عن الطابع الأكاديمي التقليدي الذي التزم به بعض المفسرين، حيث دعا إلى تجاوز الأساليب المدرسية الشكلية التي تركّز على الجوانب اللفظية والعلوم الآلية على حساب إدراك مقاصد الشريعة وفهم الأحكام الإلهية. وقد عبّر ابن باديس عن رفضه لهذه المقاربات قائلاً: "فترى الطالب يُفني حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية، دون أن يكون قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير، كتفسير الجالين مثلاً، بل ويصير مدرّساً متصدّراً ولم يفعل ذلك"¹. كما عبّر عن استغرابه من هذه الظاهرة بقوله: "كأنّ التفسير إنما يُقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية"².

وقد مهّد هذا الوعي التعليمي المبكر الذي نادى به ابن باديس لاعتماد منهج تفسيري يربط هداية القرآن الكريم بواقع المجتمع، ويسعى إلى تقديم حلول واقعية تنسجم مع متطلبات الإنسان المعاصر وحضارته. وفيما يلي أبرز الخصائص التي امتاز بها تفسيره:

1.6 الاقتصاد في النقل عن أهل اللغة والبلاغة والفقه : امتنع ابن باديس عن الإكثار من ذكر أقوال النحاة والبلاغيين والفقهاء، واقتصر على ما تدعو إليه الحاجة لبيان معاني الآيات، وذلك تجنباً لما قد يشغل القارئ عن المقصود الأساسي من التفسير، وهو استجلاء وجوه الهداية القرآنية وتحقيق مقاصد الإصلاح الاجتماعي والديني.

2.6 الابتعاد عن المسائل الخلافية المجردة : تجنّب الخوض في القضايا الجدلية والمذاهب الكلامية التي لا يترتب عليها عمل أو فائدة عملية، كما امتنع عن إدخال التأويلات المعقّدة والمصطلحات المذهبية والآراء المضطربة التي من شأنها أن تصرف القارئ عن جوهر الرسالة القرآنية³.

¹ - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 1/ 408

² - المرجع نفسه، 1/ 409

³ - انظر؛ علي محمّد محمّد الصّلاحي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، ط1، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، 2016م، 274/270.

3.6 الانفتاح على الرأي الآخر إذا أصاب الحق : لم يتردد ابن باديس في الاستدلال بأقوال من خالفه في الرأي متى استوفى القائل شروط التفسير وكان قوله صائباً، كما فعل حين استشهد بكلام الإمام القشيري، واصفاً إياه بـ " المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة " ¹.

وهذا المنهج يجسّد ما عبّر عنه ابن القيم بقوله: " البصير الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم، ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها، ولا يتحيز إلى طائفة، وينأى عن أخرى بالكلية إلا يكون معها شيء من الحق، فهذه طريقة الصادقين " ².

4.6 الربط بين هداية القرآن وواقع المسلمين: حرص ابن باديس على توظيف تفسيره للقرآن في معالجة القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المسلمين، مستهدفاً بذلك تحقيق النهوض الحضاري وللحاق بركب الأمم المتقدمة، دون أن يُغفل النقد الشديد للجمود الفكري والتقليد الأعى الذي ساد بين بعض علماء عصره، والذين حصّروا الدين في طقوس داخل المساجد والزوايا، وغفلوا عن ضرورة الاجتهاد والتفاعل مع مستجدات العصر ³.

5.6 كشف الشبهات وتصحيح المفاهيم الخاطئة: من وظائف تفسيره كذلك توضيح المفاهيم التي أسيء فهمها، وردّ الشبهات التي تعلّقت بها، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: 20]، حيث بيّن أن الفتنة قد تقع بين الأمم كما تقع بين الأفراد، وأوضح كيف أصبحت الأمة الإسلامية، في خلفها، فتنةً للأمم الأخرى، إذ ينظر الغرب إلى حال المسلمين اليوم في الجهل والفقر والتبعية، فينفر من الإسلام ظناً أن ما يراه هو من صميمه. كما حدّر من الانهيار الأعى بتقدم الغرب، وما يترتب عليه من تقليدٍ غير واعٍ، يطال حتى المفاصد والانحرافات، في مقابل احتقار التراث والدين، إلا من نظر بعين العلم فعرف أن ما لديهم من خير، هو موجود أصلاً في تعاليم الإسلام وتاريخ المسلمين ⁴.

¹ - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 35/2

² - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: عبد الغني محمد علي فاسي، ط1 بيروت، دار الكتب العلمية، 2023م، 273/2

³ - انظر: زوال نبيلة، واقعية الخطاب التفسيري وتوجيهها للدلالة - تفسير ابن باديس أنموذجاً - ص285

⁴ - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 399-398/1

6.6 اعتماده المنهج التحليلي: اعتمد ابن باديس المنهج التحليلي في التفسير مكنه من استخراج العبر والعظات، واستنباط القواعد والأسس في مجالات التربية والتعليم والإصلاح والاجتماع، فضلاً عن الكشف عن السنن الكونية، ثم إسقاطها على واقع المسلمين في عصره. ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: 58]؛ إذ استنبط منها ابن باديس سنة كونية تحكم مصائر الأمم، مفادها أن الأمم كالأفراد تمر بثلاث مراحل: مرحلة النشوء، ومرحلة القوة، ثم مرحلة الانحلال. فالمرحلة الأولى تشمل التأسيس والنهوض، والثانية مرحلة التوسع والازدهار، والثالثة بداية التراجع وصولاً إلى الاضمحلال أو الزوال، سواء بالاندثار أو بفقدان السيادة¹.

وهذه الرؤية تكشف عن وعي ابن باديس بطبيعة التاريخ ودور السنن الإلهية في بناء الحضارات وانهارها.

7.6 استخدام المنهج النقدي: انتهج ابن باديس المنهج النقدي في تفسيره لمواجهة الأفكار التي بثها شيوخ الجمود والتقليد، والتي أدت إلى نشوء نمط من التدين الخامل، العاجز عن مواكبة حاجات المسلمين اليومية، فضلاً عن عجزه عن حفظ الدين ولغة الأمة. وقد سعى من خلال هذا المنهج إلى غربة التراث وتخليصه مما علق به من شوائب التقليد والجمود².

8.6 اعتماد المنهج العلمي: وظّف ابن باديس المنهج العلمي في التفسير ليبين أن القرآن لا يناقض العلم، بل يدعو إليه، ويوجّه إلى استعمال العقل في إطار الشرع³. ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَبَتَّغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12] إذ يفسّر الليل بأنه الظلمة التي تغشى نصف الكرة الأرضية، والنهار بأنه الضوء الذي يعم الجانب المقابل لها، مبيّناً تعاقبهما بفعل دوران الأرض وتكورها، وموضحاً

¹ - انظر: المرجع نفسه، 1/ 294

² - انظر: شويه خيرة، بوحنة حمزة، المفاهيم الصوفية المعتدلة عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير،

مجلة الشهاب، جامع الوادي، الجزائر، مج. 7، ع 03، 2021م، ص 487

³ - انظر: محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مجلة الصراط، جامعة

بن يوسف بن خدة، الجزائر، مج 2، ع 1، 2000م، ص 20-30

أن هذا التعاقب لا يعني حلول أحدهما على الآخر، وإنما على محله. ثم يستخلص من ذلك دلالة قطعية على وجود خالق حكيم قدير لطيف خبير¹، وهو ما يُعدّ توظيفًا علميًا دقيقًا لخدمة المقاصد الإيمانية.

9.6 استخدام المنهج الاستدلالي: برز في دروس ابن باديس استعمال واضح للمنهج الاستدلالي، حيث كان يعتمد على نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف والخلف، بالإضافة إلى قواعد اللغة والمنطق والبرهان العقلي، وعلوم الكون والنفس والاجتماع. وكان يربط ذلك كلّه بواقع المسلمين المعاش، مما جعله يوظّف التفسير أداةً للإصلاح والتجديد. ويلاحظ في تفسيره كثرة استدلاله بما ورد في الصحيحين، وهو ما يعكس رسوخًا في المنهجية الحديثية لديه².

10.6 الاعتماد على أمهات التفاسير: اعتمد ابن باديس على مصادر تفسيرية معتبرة، منها: تفسير الطبري، والزمخشري، وأبو حيان الأندلسي، والرازي، وقد صرح بذلك في خطبة افتتاح دروسه التفسيرية³. ويفهم من هذا أن ابن باديس سعى إلى الجمع بين مناهج التفسير المعتمدة لدى السلف. ويعود هذا الاعتماد إلى سببين:

الأول: تحرّزًا من الوقوع في الخطأ عند تفسير كلام الله.

الثاني: دعمًا لفكرته الإصلاحية التي أراد أن يبثّها عبر التفسير.

وقد قال في هذا السياق: "وإذا نظرنا إلى قصورنا، وخطورة مقام الكلام على كلام الله تعالى، أحجمنا، وإذا رأينا إلى فضل الله، وثقتنا به، وحسن قصدنا -في خدمة كتابه- أقدمنا وهذا الجانب الكريم أرجح عندنا، فنحن نقدم معتمدين على الله تعالى سائلين منه تعالى لنا ولكم أن يوفقنا إلى حسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول، وسداد العمل"⁴. وهو تصريح صريح بأن المفسر ينبغي أن يتحلّى بأربع صفات: حسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول، وسداد العمل.

¹ - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 1/193

² - انظر: زوالي نبيلة، واقعية الخطاب التفسيري وتوجيهها للدلالة - تفسير ابن باديس أنموذجًا - ص285، انظر: نور الدين تومي، المباحث الحديثية في تفسير ابن باديس، ص8-9

³ - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 1/162-163

⁴ - المرجع نفسه، 1/163

11.6 أدب الحوار وخلق الاختلاف: تميّز أسلوب ابن باديس في تفسيره برقيّ العبارة، وعفة القلم، وأدب الرد على المخالفين، إذ غالبًا ما كان يوجّه خطابه بلغة عامة دون تعيين، ملتزمًا بالتلميح بدل التصريح، إلا في بعض الحالات الاستثنائية. ومن ذلك رده على الشيخ (المولود الحافظي)¹ في مسألة "العبادة المجردة عن الرجاء والخوف"، حيث فنّد قوله بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف، مبينًا مخالفة هذه الرؤية لمنهج الأنبياء والصالحين، وأنها لا تستند إلى نصّ شرعي صحيح، وأن العبادة لا تكتمل إلا بالجمع بين الحب والخوف والرجاء.² يتّضح مما سبق أن تفسير ابن باديس تميّز بخصائص منهجية وفكرية جعلته محطّ اهتمام الباحثين والمصلحين، فدرسوه وحلّلوه، وعدّوه من التفاسير الإصلاحية الرائدة في مطلع القرن العشرين، لما فيه من وعي حضاري، ونزعة تجديدية، ومنهج متوازن يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

¹ - وقد أشار ابن باديس إلى اسم هذا الشيخ في تفسيره لقوله تعالى في سورة الفرقان: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66)). انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، 447/1.

² - انظر: شويه خيرة، بوحنة حمزة، المفاهيم الصوفية المعتدلة عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير، ص 489-490-491.

خاتمة:

خلصت الدراسة الى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

1. يُعدّ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير نموذجًا رائدًا للتفسير الإصلاحي الذي جمع بين أصالة الموروث ومقتضيات الواقع.
2. اعتمد ابن باديس مناهج متعددة في التفسير، أبرزها: التحليلي، العلمي، النقدي، الاستدلالي، بما يعكس منهجًا شموليًا متزنًا يجمع بين العقل والنقل.
3. تميّز تفسيره بالربط بين النص القرآني وقضايا الأمة، مما جعل التفسير وسيلة للإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي.
4. انطلق ابن باديس من مصادر تفسيرية معتمدة، وحرص على سلامة الفهم وصحة المنهج، مما أضفى على تفسيره طابعًا علميًا رصينًا.
5. تميّز بأسلوب لغوي راقٍ وأدب جمّ في الرد على المخالفين، محافظًا على وحدة الخطاب الدعوي وجاذبيته.
6. إنّ تفسير مجالس التذكير لم يكن مجرد بيان للمعاني، بل كان مشروعًا فكريًا متكاملًا، هدفه إحياء الأمة واستعادة فاعليتها الحداثيّة.
7. تدعو دراسة هذا التفسير إلى مزيد من العناية بالمناهج الإصلاحيّة في التفسير، وربطها بواقع الأمة والقضايا المعاصرة.
8. توصيات:
1. دعوة إلى مزيد من الدراسات التحليلية حول مجالس التذكير لاستكشاف الجوانب البلاغية والأسلوبية في تفسير ابن باديس، ومدى تأثيرها في المتلقي.
2. تحقيق مقارنات منهجية بين تفسير ابن باديس وتفسير المصلحين في العالم الإسلامي، من أمثال؛ الشيخ "جمال الدين الأفغاني" والشيخ "محمد عبده"، لإبراز الخصوصيات والاشتراكات المنهجية.

3. تشجيع الباحثين على جمع وفهرسة الأصول التي اعتمدها ابن باديس في تفسيره، وتحقيق الربط بين تفسيره والخطاب الصحفي والتعليقي الذي كان ينشره في جرائد الجمعية.

4. الاهتمام بالمقاربة التربوية في تفسيره، من خلال دراسة القيم والمفاهيم التربوية التي بثّها في تفسيره، وربطها بالمناهج التربوية المعاصرة.

5. دعوة مراكز البحث والمؤسسات العلمية إلى إدراج تفسير ابن باديس ضمن المقررات الجامعية في الدراسات القرآنية، لإبراز إسهامه المنهجي الإصلاحي في مجال التفسير.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2. أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، دت.
3. ابن باديس، عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان تحقيق أحمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م.
4. باي زكوب عبد العالي، منهج عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، مجلة الإسلام في آسيا، المجلة الإسلامية العالمية- ماليزيا، المجلد8، العدد2، ديسمبر2011م.
5. جرير، ديوان جرير، تح: كرم البستاني، ط1، لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م.
6. زوالي نبيلة، واقعية الخطاب التفسيري وتوجهها للدلالة - تفسير ابن باديس أنموذجا-، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة عين تموشنت، الجزائر، سنة 2016م، العدد02.
7. سومية ميعاد، الشيخ عبد الحميد بن باديس وفكره الإصلاحي، مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، وجدة المغرب، المجلد1، العدد7، أكتوبر2024م.
8. شويه خيرة، بوخزنة حمزة، المفاهيم الصوفية المعتدلة عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير، مجلة الشهاب، جامع الوادي، الجزائر، المجلد7، العدد03، سنة2021م.
9. طالب إبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997م.
10. علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، ج2، ط1، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، 2016م.
11. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: عبد الغني محمد علي فاسي ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2023م.
12. مجاهد، زكي محمد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م.
13. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، ط5، دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة، 1993م.
14. محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مجلة الصراط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، المجلد02، العدد01، سنة2000م.
15. محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار الفضيلة، بيروت، ط2، 2006م.
16. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955م.
17. نور الدين تومي، المباحث الحديثية في تفسير ابن باديس، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، سنة2014م، مجلد19، العدد37.